

الحاضر يهدد الغد العربي: الامة محتلة بالنفط واسرائيل تحت المظلة الاميركية!



طلال سلمان

تهاوى الدول العربية، وكأنها من كرتون، ملحقة أشد الأذى بفكرة "العروبة" وبالألحام السنوية بالوحدة والتقىم والعدالة الاجتماعية.

ولقد أخذ الضعف بل التهالك معظم الدول العربية إلى احضان "الاستعمار" ولو جديداً، بجواز سفر أمريكي تسقط معه حواجز العداء مع "اسرائيل"، كدولة عادمة وكيان استيطاني طارد لأهل الارض الذين كانوا دائماً أهلها: الفلسطينيين.

يكاد يصبح "الاستقلال" من الذكريات، والوحدة من الاحلام، اما الاشتراكية والعدالة الاجتماعية فحدث خرافية يا ام عمرو..

سادت الكيانية محتملة، مرة أخرى، بالقوات الاجنبية تحت الراية الاميركية، واندثرت او تکاد الروابط السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الشعوب العربية التي كانت ترى نفسها امة واحدة يجمعها الطموح إلى الحرية والاشتراكية والوحدة.

صارت لقاءات القمة العربية محطات للتواافق على مزيد من التنازلات عن الحقوق الوطنية العربية بعنوان "فلسطين"، وبالتالي على مزيد من القبول بل الاستسلام للكيان الاسرائيلي الذي اسقطت عنه دمعة العداء، وصار حليفاً لبعض الانظمة العربية ضد الامة بماضيها وحاضرها ومستقبلها..

صار القرار العربي اميركياً، في الغالب الاعم، وبالتالي اسرائيلياً.

اندثرت جامعة الدول العربية والمؤسسات المنبثقة عنها والتي كانت تجسد – ولو بعناؤينها – الطموح

العربي إلى الحد الأدنى من الوحدة، من السياسة إلى الاقتصاد بمحالاته المختلفة (الصناعة والزراعة والتجارة) وصولاً إلى اللغة بقواعدها ومحاوله تحديتها بالحذف والاضافة.. تباعد أهل النظام العربي إلى حد الاحتراـب..

واستقوى أهل الثروة من العرب على أخوتهم الفقراء فأذلوهم واستبعدهم وفرضوا عليهـا مواقـف كانوا يرفضونـها وسياسات وتحالفـات كانوا يقاتـلـونـها.

أسقطت القاهرة بصريـة كمبـيـد والصلـح مع العـدو الإـسـرـائـيلـيـ، على حـسابـ العـربـ أـجـمـعـينـ وـدـمـاءـ الشـقـيقـ السـورـيـ - الشـريكـ فيـ الـحـربـ التـيـ كـادـ تـنـتـصـرـ ثـمـ أـجـهـزـ اـنـتـصـارـهـ بـوقـفـ السـادـاتـ القـتـالـ تـارـكاـ لـإـسـرـائـيلـ فـرـصـةـ الـانـدـفـاعـ بـقـوـتـهاـ مجـتمـعـةـ مـضـدـ الجـيشـ السـورـيـ..

تـاهـتـ الثـورـةـ الـفـلـسـطـينـيـةـ، التـيـ كـانـتـ قـيـادـتـهاـ ماـكـيـفـيـلـيـةـ، بـيـنـ مـتـابـعـ الـكـفـاحـ الـمـسـلـحـ الـمـفـتوـحـ عـلـىـ المـجـهـولـ وـأـغـرـاءـاتـ "ـالـسـلـطـةـ"ـ وـلـوـ مـجـتـزـأـةـ وـمـرـتـهـنـةـ لـلـاحـتـالـلـ، وـعـلـىـ بـعـضـ الـأـرـضـ لـدـوـبـلـةـ اـسـيـرـةـ مـقـابـلـ الـتـنـازـلـ عـنـ كـلـ الـأـرـضـ لـدـوـلـةـ قـوـيـةـ بـذـاتـهـاـ وـبـالـسـنـدـ الـأـمـيـرـكـيـ الـذـيـ يـرـاـهـ طـلـيـعـةـ اـجـتـياـحـ الـأـرـضـ الـعـرـبـيـةـ، مـسـتـغـلـاـ خـصـومـاتـ الـأـسـرـ الـمـالـكـةـ وـخـلـافـاتـ الـانـظـمـةـ وـبـعـدـهـاـ عـنـ نـاسـهـاـ..

تحـولـتـ الـانـظـمـةـ الـجـمـهـورـيـةـ إـلـىـ مـلـكـيـاتـ فـقـيرـةـ تـنـافـسـ -ـ بـلـ جـدـوـيـ -ـ الـمـلـكـيـاتـ وـالـأـمـارـاتـ الـغـنـيـةـ، فـاـذـاـ ماـ تـصـرـفـتـ مـعـهـاـ بـمـبـادـئـ الـاخـوـةـ رـدـتـ عـلـيـهـاـ..ـ بـالـلـغـةـ الـانـكـلـيـزـيـةـ ذـاتـ الـلـكـنـةـ الـأـمـيـرـكـيـةـ.

ثـمـ تـقـدـمـ الـاسـتـعـمـارـ الـجـدـيدـ خـطـوةـ حـاسـمـةـ، بـعـدـ حـمـلـةـ تـخـوـيفـ ضـارـيـةـ مـنـ "ـالـخـطـرـ الـإـيـرـانـيـ"ـ مـعـزـزاـ بـخـطـرـ صـدامـ حـسـينـ، فـلـمـ اـجـتـياـحـ الـأـمـيـرـكـيـوـنـ الـعـرـاقـ تـعـاظـمـ النـفـخـ فـيـ الـخـطـرـ الـإـيـرـانـيـ، لـاـ سـيـماـ بـعـدـ تـفـجـيرـ الـوـضـعـ فـيـ سـوـرـيـاـ بـالـحـربـ فـيـهـاـ وـعـلـيـهـاـ، وـبـعـدـ نـجـاحـ "ـحـزـبـ اللهـ"ـ فـيـ لـبـنـانـ فـيـ مـقاـومـتـهـ الـبـاسـلـةـ وـالـطـوـيـلـةـ مـضـدـ الـاحـتـالـلـ الـإـسـرـائـيلـيـ لـجـنـوبـ لـبـنـانـ فـيـ اـيـارـ الـعـامـ 2000ـ، ثـمـ فـيـ مـضـدـ الـاجـتـياـحـ الـإـسـرـائـيلـيـ فـيـ حـربـ تمـوزـ 2006ـ، وـهـكـذاـ صـورـتـ إـيـرـانـ -ـ الـثـورـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـكـأنـهـ أـخـطـرـ مـنـ الـعـدـوـ الـإـسـرـائـيلـيـ وـالـاسـتـعـمـارـ الـغـرـبـيـ بـالـعـنـوانـ الـأـمـيـرـكـيـ، مـعـاـ".

وـهـكـذاـ، وـنـتـيـجـةـ ظـرـوفـ مـتـعـارـضـةـ، غـيـبـتـ الدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ ذاتـ التـارـيخـ الـمـضـيـءـ وـالـدـوـرـ الـبـارـزـ فـيـ التـقـدـمـ وـالـتـحرـرـ وـمـواجهـةـ الـعـدـوـ الـإـسـرـائـيلـيـ وـتـصـدرـتـ دـوـلـ الـنـفـطـ الـمـشـهـدـ الـعـرـبـيـ، فـارـضـةـ عـلـىـ الـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ التـرـاجـعـاتـ الـمـتـوـالـيـةـ فـيـ مـوـضـعـ فـلـسـطـينـ خـاصـةـ، بـلـ اـنـهـ تـمـكـنـتـ، ذاتـ يـوـمـ، مـنـ "ـطـرـدـ"ـ دـوـلـةـ مـؤـسـسـةـ لـهـذـهـ الـجـامـعـةـ مـنـهـاـ، بـتـحـريـزـ قـطـرـيـ وـاستـجـابـةـ خـلـيـجـيـةـ وـسـائـرـ الـانـظـمـةـ الـمـلـكـيـةـ، مـعـ تـحـفـظـ جـزـائـريـ يـتـيمـ وـصـمـتـ عـرـاـقـيـ وـحـرـجـ لـبـنـانـيـ لـمـ يـصـلـ إـلـىـ حـدـ الـاعـتـراـضـ، وـاـنـ كـانـ فـيـ تـلـكـ اللـحـةـ، لـاـ يـجـدـيـ.

غـيـبـتـ الـمـشـكـلـاتـ الـدـاخـلـيـةـ وـأـخـطـرـهـاـ الـفـقـرـ مـصـرـ، ثـمـ جـاءـ اـجـهاـضـ الـاـنـتـفـاصـةـ بـالـجـيـشـ، الـذـيـ وـفـرـ لـلـإـخـوـانـ الـفـرـصـةـ لـلـانـقـضـاـضـ عـلـىـ الـحـكـمـ وـتـسلـمـ الرـئـاسـةـ، لـكـنـ هـذـاـ الـجـيـشـ نـفـسـهـ سـرـعـانـ مـاـ انـقـلـبـ عـلـىـ الـاوـضـاعـ، فـاعـتـقـلـ الرـئـيسـ الـإـخـوـانـيـ وـجـاءـ بـوـاـحـدـ مـنـ ضـبـاطـهـ لـيـكـونـ "ـرـئـيـسـ"ـ لـفـتـرـةـ اوـلـىـ ثـمـ لـفـتـرـةـ رـئـاسـيـةـ ثـانـيـةـ، وـقـدـ التـقـىـ عـلـىـ تـأـيـيـدـهـ وـاحـتوـائـهـ الـأـمـيـرـكـيـوـنـ وـأـهـلـ الـنـفـطـ وـالـادـارـةـ الـأـمـيـرـكـيـةـ.

لـكـنـ التـنـافـسـ بـيـنـ أـهـلـ الـنـفـطـ وـالـغـازـ عـلـىـ الزـعـامـةـ سـرـعـانـ مـاـ أـعـادـ إـلـىـ السـطـحـ خـلـافـاتـ قـبـليـةـ كـامـنةـ،

وتقدمت قطر بثروتها الهائلة والطموح غير المشروع لقيادتها، وهو بين ما أخذها، أخذها إلى العدو الاسرائيلي قبل شركائها – الاعداء، مطللة بالرضا الاميركي وبعض الحماية التركية، والافادة الايرانية، والفرح الاسرائيلي بهذا التمدد العربي الجديد بين أهل الثروة من العرب بعد اختفاء اهل الثورة... كل ذلك جعل العرب يتقهرون حتى حافة الخروج من التاريخ.

تصاغرت الدول العربية الكبيرة وذات التاريخ المجيد في حركة الثورة العربية، وتضاؤل نفوذ مصر المكبلة بفقرها الذي جعلها مرتئنة للنفوذ الاميركي والحاجة إلى "الدعم" المباشر والمكلف من اهل الثروة، وأخفى الاحتلال الاميركي العراق عن مسح التأثير على القرار العربي، وغُيّبت سوريا تحت ركام مدتها المهدمة نتيجة الحرب فيها وعليها.

وهكذا دخل "العرب" في غيبة كادت تخرجهم من التاريخ، وأعادت دولهم إلى احضان التبعية الاستعمارية، بقيادة الاميركية – الاسرائيلية.

ولسوف يطول انتظارنا فجر الغد العربي، الآتي بلا شك، مهما طال الزمن!
كتاب وناشر ورئيس تحرير صحيفة السفير
تنشر بالتزامن مع السفير العربي